العرب
الإثنين 2021/09/13
السنة 44 العدد 12178

الذكاء الاصطناعي يمتدّ إلى ما بعد خراب الأرض

«المنطقة 414».. شرطي تحرّ يبحث عن امرأة مفقودة وسط عالم ديستوبي قاحل

لا شك أن فكرة الاكتشاف والتحرّي هي إحدى الأفكار السائدة في أفلام الخيال العلمي، وخاصة تلك التي تقدّم صورة للمستقبل في ظل الديستوبيا القاتمة التي طالما تم توظيفها في هذا النوع من الأفلام. لكن الميزة المختلفة في فيلم "المنطقة 414" أن المستقبل والديستوبيا الأرضية يتزامنان مع تطوّر الذكاء الاصطناعي وتحوّل البشرية إلى كائنتونات منعزلة.

طاهر علوان
كاتب عراقي

يكرّس فيلم "المنطقة 414" للمخرج أندرو بيرد فكرة خراب الأرض مع تطوّر الذكاء الاصطناعي في عالم مستقبلي معزول، وإن بطريقة مغايرة ومعالجة مختلفة، لكنها سوف تدور في إطار ما خلفته سلسلة "متسابق المتاهة" في أذهاننا، ولهذا ما أن تشاهد هذا الفيلم المصنوع بعناية وإتقان، حتى تستذكر تلك السلسلة.

«المنطقة 414» يستعرض واقعا مستقبليا يعيش فيه البشري والروبوتي حالة من الاغتراب وسط بيئة قاحلة

بعد مقابلة قصيرة مع ديفيد (الممثل غاي بيرس) سيتم تكليف شرطي التحرّي السابق وصاحب التاريخ المديد في العمليات السرية وتخليص الرهائن باسترجاع ابنة الملياردير فيدت (الممثل الأسترالي ترافيس فيمل) التي كانت قد دخلت المنطقة 414 واختفت في وسطها، ومن هنا سوف ننطلق في التعرّف على ذلك العالم الديستوبي المجهول.

تقوم الفكرة على أساس أن تلك المنطقة محصنة وشديدة الحراسة وكان قد أنشأها فيدت لغرض تسويق الكائنات النسائية التي هي في أشكال بشرية وكأنها طبيعية، بينما هي مجرد روبوتات وكائنات تعمل بموجب بروتوكولات الذكاء الاصطناعي.

ومن منطلق أن ابنة الملياردير لا تريد أن تكون نسخة من أبيها وأن لا تكون مجرد وريثة مجد ليس لها فيه مجهود، تقرّر ولوج ذلك العالم المجهول وتختلط مع الكائنات الروبوتية التي يتم بيعها حتى لحظة اكتشافها مقتولة في ظروف غامضة.

يغوص ديفيد في ذلك العالم المجهول ويحاور النساء الروبوتيات اللائي عرفن ابنة الملياردير عن قرب حتى لقائه مع جين (الممثلة ماتيلدا لوتز) التي تؤدّي دورا بارعا يجمع بين كونها امرأة طبيعية وبين كونها كائنا روبوتيا.

وهنا تثار ثيمة المرأة والذكاء الاصطناعي والتي سبق وشاهدناها في العديد من الأفلام ومن أبرزها فيلم "إكس ماشينا" و"الذكاء الاصطناعي" و"أوتوماتا" و"إيف" و"روبو لاف" وغيرها، حيث يتم بناء شخصية جين على مستويين وهما فكرة تطوّر نظام الذكاء الاصطناعي لديها إلى درجة تحريك المشاعر، وفكرة التباعد مع البيئة المحيطة إلى درجة أن ذلك الكائن الاصطناعي يشعر بأنه في سجن داخل الذات.

ومن هذه المعطيات الفكرية والفلسفية والنفسية تبنى الحوارات المكتوبة بشكل متميّز في هذا الفيلم، والتي تقدّم واقعا مستقبليا يعيش فيه الطرفان البشري والروبوتي أو الاصطناعي حالة من الاغتراب في بيئة قاحلة.

وإذا نظرنا في شخصية ديفيد في إطار تطوّر المسارات السردية بين الشخصيات، فإنه ذلك الشرطي السابق الذي يقول سجله إنه تم تسريحه من الخدمة بسبب مقتل صديق له بطريقة غير متعمدة أثناء العمل، وأنه عجز عن إنقاذ زوجته التي توفيت منتحرة، وكل ذلك يتم تلقينه إلى جين التي تكشف له عن تاريخه، ومن ثم تتفاعل معه من أجل العثور على ابنة الملياردير، ومن هناك يتم اكتشاف العالم السري للمنطقة 414.

لا يكتفي ديفيد بالمغامرة لوحدها بل إنه بحسه الأمني يضع شقيق الملياردير جوزيف (الممثل جوناثان آريس) في دائرة الاتهام، وهنا تقع المواجهة بينهما والتي تستدعي من جوزيف السعي لقتل الروبوت جين، والتي سيقع لها تطوّر آخر في تمرّدها على سيطرة النظام الرقمي وقدرتها بعد ذلك على الدفاع عن نفسها.

ينجح المخرج في تأسيس بيئة رقمية متكاملة وأجواء ديستوبية معزولة عن العالم الخارجي، ويوظف خلال ذلك ومن أجل تعزيز جماليات المكان الإضاءة وعناصر التصوير والغرافيك والموسيقى التصويرية والمؤثرات الصوتية من أجل تعميق حالة الاغتراب المكاني، ومن أجل ترسيخ فكرة تلك البقعة المنقطعة عمّا حولها والتي تعجّ بأجناس وملامح شتى يتم تطويرها بشكل سري في ذلك المكان.

وإذا ربطنا ما بين بداية الفيلم ومرحلة الذروة فيه سوف نجد خطا دراميا وسرديا بارعا تم الاشتغال عليه من خلال شخصية ديفيد، فها هو في المشاهد الأولى يطلق النار على امرأة من ذات الفصيلة المتطوّرة صناعيا، ولا يكتفي بذلك بل إنه يقوم بانتزاع العقل الرقمي المستقرّ في دماغها، وبذلك بدأ رحلته في التعامل مع تلك الكائنات ومن ثم مصاحبة جين والتقاء هدفيهما في خوض المغامرة إلى نهايتها.

ويحسب للمخرج أيضا اختياره المتقن لمجمل الشخصيات بملامحها المميّزة التي انسجمت مع ثيمة الفيلم الأساسية حتى تكاملت الأجواء وملامح الشخصيات مع الواقع الغريب المحيط، والذي يعجّ بتلك الكائنات مع استمرار ملفت لاستخدام الجانب الصوتي في شكل نداءات متكرّرة موجّهة إلى المتواجدين في تلك المستعمرة المجهولة إلى إتباع التعليمات في كل ما يتعلق بتواجدها وحركتها في ذلك المكان.

في المقابل تم توسيع دور الشخصية الرئيسية ديفيد، فهو لن يتقيّد بتوجيه الملياردير بصرف النظر عن التحقيق بل إنه يعود إلى سيرته البوليسية في التحرّي والوصول إلى الحقيقة، وهو ما يوصله إلى شخصية القاتل الحقيقي.

تحالف الإنسان والروبوت للوصول إلى الحقيقة

> الفيلم تدور أحداثه في منطقة محصنة، أنشأت لتسويق كائنات نسائية تعمل بموجب بروتوكولات الذكاء الاصطناعي

«السقوط».. مسرحية تنتقد ذاتيّة الإنسان الغربي المعاصر

بعد "نشاز" لديدي كارون، و"لا مشكلة" لفيليب فرتراي، يحتضن مسرح "لاكونترسكارب" بباريس مسرحية أعدها المخرج جيرو بينيش عن رواية "السقوط" لألبير كامو، التي تتحدّث عن سقوط فعلي، وسقوط أخلاقي.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

عُرف ألبير كامو (1913–1960) بروايتيه "الغريب" و"الطاعون"، وبأعماله الفكرية مثل "الإنسان المتمرّد" و"الإنسان الأوّل" و"رسالة إلى صديق ألماني"، مثلما عرف بمسرحياته التراجيدية مثل "العادلون" و"كاليغولا" و"أسطورة سيزيف" والسياسية مثل "الحصار".

أما "السقوط" التي تعرض حاليا على خشبة "لاكونترسكارب" الباريسي، فهي في الأصل رواية قصيرة تنقل اعترافات بطلها، ليشخّص نفسية الإنسان الغربي وعقليته، وقد سبق أن اعتمد هذه التقنية في رواية "الغريب"، حيث البطل هو وحده متكلم الرواية، ما يفرض على القارئ وجهة نظر وحيدة، هي ما يقوله راو عليم. ولا يدري المتفرّج هل أنه يتوجّه بكلامه لشخص، أم قس على كرسي الاعتراف، أم أن يستبق الأعوام، ويعدّ ما سوف يقوله للذات العليا يوم القيامة.

بطل "السّقوط" جان باتيست كلامنس، محام سابق، وقاض تائب، يجد نفسه في بار قذر بأمستردام، يحاول الوقوف بعد أن لعبت الخمر بعقله وتعتعه السكر، ليروي لنديم مجهول حكاية قديمة عاشها في باريس، وظلت تبكّت ضميره.

طيلة ساعة، يتحدّث ليفرغ ما اختزنته ذاكرته المتعبة، في يأس حينا، وفي غضب حينا آخر، ويروي قصة سقوط، قصة تتفرّع أحيانا إلى عمليات سقوط عديدة، سقوط امرأة في نهر السين ذات مساء، ولم يسع لنجدتها، بل تركها لمصيرها، فظلت ذكراها تعذّب منه النفس بحضور حادّ ملموس.

من خلال ما يرويه كلامنس، نكتشف أنه كان محاميا لامعا تعشقه النساء ويحترمه الجميع، ولكنه مغرور متكبّر يعتبر نفسه أرفع من أن يلام على تقصير، فهو في نظر نفسه فوق أحكام البشر. كانت حياته محض أفراح وسعادة، إلى أن تحطّم كل ذلك تحت صوت ارتطام جسد بمياه نهر. حصل ذلك ذات مساء حين كان مارًا فوق أحد جسور باريس، فسمع ضحكة لا يعرف مصدرها، فكانت أشبه بصدى لما عاشه قبل سنوات، حين لمح امرأة شابة تلقي بنفسها في نهر السين من أعلى الجسر. في ذلك المساء، تجمّد في مكانه ولم يعرف ماذا يستوجب عليه فعله.

بقي يترقّب ويقلب النظر حوله عسى أن يُقدِم غيرُه على إتيان ما عجز هو عن فعله، ولكن لا أحد من المارة تحرّك، فاختار في النهاية أن يواصل طريقه، وكأن شيئا لم يكن، فالمسألة في رأيه لا تعنيه، لا من قريب ولا من بعيد. مضى في سبيله إذن دون أن يُنجدها أو يهتم بمصيرها.

ومنذ لحظة التذكّر تلك، تغيّرت حياته مهنيا واجتماعيا، فكانت بداية بحث وجوديّ، حيث هجر باريس ليستقرّ في أمستردام، وظل يهيم من مكان إلى آخر، ومن حانة إلى أخرى، دون أن تمّحي تلك الصورة من ذهنه، بعد أن وعى أن ذلك السقوط عقبه سقوط آخر، سقوطه هو أخلاقيا.

في تلك اللحظة، انقلبت حياته رأسا على عقب، وطفا ذنبه إلى السطح، سطح وعي مستعاد في لحظة صدق باهرة، فغدت حياته محكومة بأمر واحد هو خوفه من الحساب يوم القيامة.

صار يظنّ أن الناس جميعا ينظرون إليه نظرة احتقار، ويوجّهون له أصبع الاتهام، ويتوهّم أنهم يعتقدون كلهم أنه مذنب، وأنه كان قادرا على إنقاذ تلك الفتاة، ولم يفعل، عن أنانية أو جبن أو لا مبالاة.. لا يهمّ، المهمّ أنه لم يحرّك ساكنا لنجدتها.

من خلال تلك الحادثة، وموقف كلامنس منها، يرسم كامو صورة قاتمة عن الإنسان الغربي، فيصفه بكونه أنانيًا، منغمسا في المتع والشهوات، مقطوعا عن المفاهيم الأساسية للعدل والمسؤولية.

وقد عُدّ العمل في حينه علامة بارزة عالج فيها كامو ذاتانيّة الإنسان الغربي المعاصر، الذي لم يعد يرى سوى مصلحته، ولم يعد يعنيه سوى حياته الخاصة، إلى حدّ صار معه لا يبالي بمأساة غيره، يغضّ عنها طرفه بلا حياء. وكأنّ كامو هنا يتمثّل مقولة سقراط "حياة بلا امتحان لا تصلح أن تعاش".

محاسبة الذات على الخشبة

> ألبير كامو يرسم في «السقوط» صورة قاتمة عن الإنسان الغربي، المقطوع عن المفاهيم الأساسية للعدل والمسؤولية

لقد استطاع ستانيسلاس دو لا توش أن ينقل بقوة وإقناع كلمات كامو، في توتّرها وهدوئها، وفي فورتها وخفوتها، عبر مونولوغ ينهمر كسيل لا ينضب.

وكان الإخراج موسوما بالبساطة والفاعلية، حيث الأضواء والأصوات تنقل المتفرّج بيسر، مرة داخل حانة صاخبة، ومرة وسط الشارع وضجيجه المتواصل، وأحيانا على حافة ماء متجمّد، وقد استعان جيرو بينيش بصور فيديو كي يدعم تلك المؤثرات التقنية، ليجع البطل أمام ذاته، وأمام ارتداد أنانيته، وأمام جبنه وذنبه.

وقد جعل الخشبة فضاءين، البيت والخمارة الهولندية، يتنقّل بينهما البطل كما يتنقّل بين الكلمات، مثلما جعل "مثالة" كناية عن حضور الفتاة موضوع العمل كله، ومنطلقه، وكأنها تذكّر البطل بذنبه، ولكن لا أثر للجليس، وكأنما هو شخص متخيّل، قد يكون القارئ أو المُشاهد أو الضمير الحي الذي يحاسِب أمامه البطلُ نفسَه، ولئن كان الديكور في حدوده الدنيا، فإن كل شيء فيه له دلالته ورمزيته.

جمال من غير ثرثرة

فاروق يوسف
كاتب عراقي

أن ترسم الطبيعة كما هي غير أن ترسمها كما تراها. حالتان تختلفان في كل شيء بالرغم من أن مصدرهما واحد. ستكون الطبيعة ملهمة مرة ومرة أخرى سيكون الرسم هو الملهم.

كان الانطباعيون الفرنسيون منتصف القرن التاسع قد تنبّهوا إلى أن الطبيعة ليست صيغة جامدة. إنها تتجلى بصور مختلفة مع اختلاف الوقت وتبدل الفصول وما لا يُرى منها مباشرة هو جوهر جمالها. وهكذا صار لكل رسام طبيعته. تلك الطبيعة التي يتدخل في إنشائها مزاج الرسام وطريقته في النظر والهدف الغامض الذي يسعى إليه.

هناك فرق كبير بين طبيعة رسمها كلود مونيه وطبيعة رسمها رينوار بالرغم من أنهما عاشا في إطار مؤثر ثقافي واحد.

غير أن هناك مظهرا آخر من مظاهر استلهام الطبيعة تجلى من خلال محاولات عدد من الرسامين للوصول إلى الجوهر التجريدي للمشهد الطبيعي.

يقف الفرنسي من أصول روسية نيكولاس دي ستايل (1914–1955) في مقدّمة أولئك الرسامين الذين غيّروا طريقة النظر إلى الطبيعة، بل أنهم جعلونا ننظر بطريقة مختلفة إلى رسوم البريطاني تيرنر والفرنسي مونيه باعتبارها القاعدة التي مهّدت للأسلوب التجريدي في الرسم.

من بعيد تبدو رسوم دي ستايل كما لو أنها تتألّف من مساحات لونية متجاورة ومتناغمة يطغى عليها اللون الواحد كما في لوحته "الطريق".

غير أن تفحّص أي لوحة من لوحاته بصريا وبطريقة دقيقة لا بد أن يجعلنا على قناعة من أن الرسام استطاع عن طريق ضربات فرشاته البسيطة والبارعة في الوقت نفسه من أن يستحضر مشاهد مستلهمة من الطبيعة، لكن من خلال عناصر الرسم التي تبدو كما لو أنها تتآلف في ما بينها لتشكيل مشهد بصري خالص. مشهد مستقل عن المنظر الطبيعي الذي هو مصدره.

رسوم دي ستايل تشبه الخلاصات البسيطة التي يمكن أن تغني عن الأصول المعقدة. وهي في ذلك إنما تستعيد تقنية الرسامين الصينيين في اختصار المشهد الطبيعي إلى مجموعة من الخطوط التي تقبض على الجمال من غير أن تثير أي نوع من الضجيج.

رسوم نيكولا دي ستايل خلاصات بسيطة تغني عن الأصول المعقدة